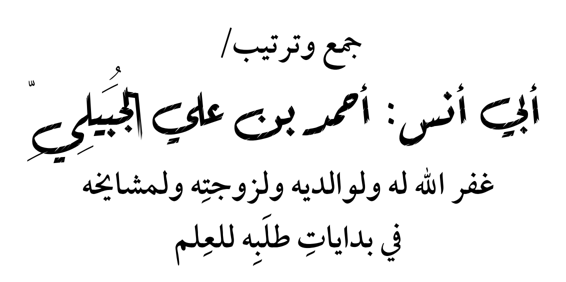
رسالة



الْمَعاني الْمُجمَلة في بيانِ ما يتَعلَّقُ بـ

الاستعاذة والبسملة



جمع وترتيب/

أبي أنس: أحمد بن عليٍ الجُبَيليِ

غفر الله له ولوالديه ولزوجتِه ولمشايخه

في بداياتِ طلَبِه للعِلم



تنبيهٌ هامٌ: هذه الرِّسالة كتبتُها وعُمري اثنان وعشرون عامًا تقريبًا، ورفعتُها بعدما مَرَّ العديدُ مِن السَّنواتِ؛ عسى أنْ يجدَ أحدٌ فيها نفعًا أو فائدةً، والرِّسالة ينقصها المراجعة والتَّدقيق اللغوي وأشياء أُخرى، والصَّنعة الحديثية فيها ليست بذاك، وكذا التَّنسيق؛ فهي بمثابة الذِّكرى، فانتبه.

سبحان الله وبحمده – سبحان الله العظيم



* **قال رسول الله ﷺ:**

«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاريُّ في سبعةِ مَواضع مِن صحيحِه (١، ٥٤، ٢٣٩٢، ٣٦٨٥، ٤٧٨٣، ٦٣١١، ٦٥٥٣)، ومسلمٌ (١٩٠٧).

بدأتُ: رسالَتي هذه بهذا الحديثِ اقتِدَاءً وتَأسيًا بالأئِمَّةِ الأعلامِ وحُفَّاظِ الإسلامِ؛ **فقد قال الإمامُ عبدُ الرَّحمنِ بنُ مَهدِيٍّ** (ت: ١٩٨) رَحِمَهُ اللَّهُ **كما في «جامع العلوم والحِكَم»** (١/ ٦١): لو صَنَّفتُ الأبوابَ، لجعلْتُ حديثَ عُمرَ في الأعمالِ بالنِّيَّةِ في كلِّ بابٍ.

وقال أيضًا كما في «شرح النَّوويِّ على مُسلمٍ» (١٣/ ٥٣): ينبغي لمَنْ صَنَّفَ كتابًا أنْ يَبدأَ فيه بهذا الحديثِ؛ تنبيهًا للطَّالِبِ على تَصحيحِ النِّيَّةِ.

وقال أبو سليمانَ الخَطَّابِيُّ (ت: ٣٨٨) رَحِمَهُ اللَّهُ **في «أعلام الحديث»** (١/ ١٠٦): كان المتقدِّمون مِن شيوخِنا رَحِمَهُمُ اللَّهُ يستَحِبُّون تقديمَه أَمَامَ كلِّ شيءٍ يُنْشَأ ويُبتدَأُ مِن أمورِ الدِّينِ؛ لعمومِ الحاجةِ إليه في جميعِ أنواعِها، ودخولِه في كلِّ بابٍ مِن أبوابِها.

وقال النَّوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٦٧٦) **في «المجموع شرح المهذَّب»** (١/ ١٦): وإنَّما بدأتُ بهذا الحديثِ تأسيًا بأئِمَّتِنا ومُتَقدِّمي أسلافِنا مِن العُلماءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ...، وكان السَّلفُ وتابعُوهم مِن الخَلَفِ يستحِبُّون استفتَاحَ مصنَّفاتِهم به، تنبيهًا للمُطَالِعِ على حُسْنِ النيَّةِ والاعتناءِ بها.

وقد عَمِلَ بهذه الوصيةِ كثيرٌ مِن السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، منهم: البخاريُّ في «الجامع الصَّحيح»، والحافظُ المنذريُّ في «كِفايةِ المُتعبِّد»، وتَقِيُّ الدِّين المَقْدِسيُّ في «عُمدةِ الأحكام»، والنَّوويُّ في «المجموع شرح المُهذَّب»، وفي «الأربعين النَّوويَّة»، وفي «رياض الصَّالحين»، والتِّبرِيزيُّ في «مشكاة المصابيح»، والسُّيوطيُّ في «الجامع الصغير» وغيرُهم.



بِسْمِ اللهِ، والحَمْدُ للهِ، والصَّلَاةُ والسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وَمَن وَالَاهُ، **أَمَّا بَعْدُ**:-

إنَّ من أعظم المِنَن التي امتنَّ الله ﷻ بها على عباده المؤمنين: كتابَه النور الحق المبين، الذي أنزله على إمام الدعاة وسيد النبيين، فهدى به من بعد الضلالة، وعلَّم به من بعد الجهالة، الذي أعجز فصحاءَ العرب في أسلوبه وبيانه، وبلاغته وتبيانه، وحلاوته وإتقانه، فلم يستطيعوا لمثله بدلا، إلا مِراءً وجدلا، ولو كان بعضهم لبعض عونًا جبلا، فقد قال ﷻ {**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**} [الإسراء: ٨٨].

فقيض الله ﷻ لهذا الكتاب العزيز علماءً فحولا، ثقاتٍ عدولا، فعكفوا على فهمه وتفسيره، ثم نقحوا ما وصلت إليه أذهانهم، وبعد ذلك حرروه ونشروه بين طلاب العلم بل وعوام الناس ؛ ليساعدهم ذلك في فهم وتدبر كتاب الله ﷻ .

والناظر في جهود المفسرين وكتبهم يجد فرقًا بين التصنيف والآخر من حيث طريقة عرض وطرح الكتاب، وكذلك يجد اختلافًا في الرؤى والاجتهادات، كما أن كل مفسِّر نجده تناول جانبًا معينًا في تفسيره واهتم به أكثر من الجوانب الأخرى، فمثلًا وليس حصرًا:

- **تفسير ابن كثير**[١]: يمتاز بتفسير القرآن بالقرآن مع الترجيح القوي، وتخريج الأحاديث ودراسة أسانيدها مع نقد الإسرائيليات وغير ذلك .
- **تفسير الإمام القرطبي**[٢]: اهتم فيه مؤلِّفه بالأحكام الفقهية وتفسير آياتها، بالإضافة إلى ذكر أسباب النزول واختلاف القرَّاء وغير ذلك .
- **تفسير الفخر الرازي**[٣]: اهتم فيه مؤلفه ببلاغة القرآن وإعجازه، كما أنه جامعٌ فيه أسباب النزول وتواريخ الآيات والسور والإعراب وشواهد شعرية ويمتاز حيال ذلك بالنقد.

---

١) **واسمه**: «**تفسير القرآن العظيم**» ؛ لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، توفي سنة (٧٧٤) هـ.

٢) **واسمه**: «**الجامع لأحكام القرآن**» ؛ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأندلسي، توفي سنة (٦٧١) هـ.

٣) **واسمه**: «**التفسير الكبير**» أو «**مفاتح الغيب**» ؛ لأبي عبد الله محمد بن عمر بن حسين التيمي المشهور بابن الخطيب الرازي توفي سنة (٦٠٦) هـ .

- **تفسير ابن الجوزي**[٤]: يمتاز بحصر أقوال المفسرين والأئمة ونسبتها لقائليها ... وغير ذلك.

- **تفسير الجلالين**[٥]: يمتاز باختصاره وسهولته للقارئ .

.... وهكذا، حيث لكل مُصنِّف غرضه من كتابه الذي يريد إيضاحه وإجلاءه للناس، وهناك من صنَّف في علوم القرآن، وقراءاته، وأصول تفسيره، أو بعض ما يتعلق به مما يصعب حصره، وحسبي أني أشرتُ لهذا، والله ولي التوفيق .

....

....

ثُمَّ قلتُ:

وفي هذه الصَّفحاتِ القليلةِ القادِمةِ بيانٌ لِمَا يَتَعَلَّقُ بالاستِعاذةِ والبَسمَلَةِ، فإن أخطأتُ في شيء مما ذهبتُ إليه، فما أنا إلا واحدٌ مِن البشر، وحسبي أني اجتهدتُ قدر استطاعتي ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وأمتثل قول القائل:

أَسِيرُ خَلْفَ رِكَابِ النُّجْبِ ذا عرجٍ ... مُؤَمِّلًا كشفَ ما لاقيتُ مِنْ عوجِ
فإنْ لَحِقْتُ بِهِم مِنْ بعدِ ما سَبقوا ... فَكَمْ لِرَبِّ الورى في ذاكَ من فرجِ
وإنْ بَقِيتُ بِظَهرِ الأرضِ مُنقَطِعًا ... فما على عَرَجٍ في ذاكَ مِنْ حَرَجِ

فالله أسأل أن يجعله كتابًا خالصًا له، نافعًا لعباده، ماحيًا لذنوبي، مُوردًا لحوض نبيي ﷺ، زادًا ليومٍ لا زاد فيه إلا التقوى والعمل الصالح، سائقًا للفردوس الأعلى. آمين

وصَلَّى اللَّهُ على محمدٍ وآلِهِ وصَحْبِه وسَلَّمَ تَسلِيمًا كَثيرًا

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين

قاله بلسانه وخطَّه ببنانه: الرَّاجي رحمةَ العلي

أبو أنس/ أحمد بن علي الجُبَيلي

غفر الله له ولوالديه ولزوجتِه ولمشايخه

هاتف+ واتس: (٠٠٢٠١٠٦٤٦٨١٣٥٣)

---

٤) **واسمه**: «**زاد المسير في علم التفسير**»؛ لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي، توفي سنة (٥٩٧) هـ.

٥) **وسُمي بذلك**: لأن مؤلفه جلال الدين المحلي محمد بن أحمد الشافعي، توفي سنة (٨٦٤) هـ، حيث فسر من الكهف إلى الناس. وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي توفي سنة (٤١١) هـ، حيث فسَّر من الفاتحة إلى الإسراء.

{فصل في الاستعاذة[١]}

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»

* أولًا: ألفاظ الاستعاذة:

١- «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»: وهذا اللفظ انعقد عليه الاتفاق، **فقد قال ابن الجزري رحمه الله** -[٢]: أن المختار لجميع القراء من حيث الرواية «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» كما ورد في سورة النحل، فقد حكى الأستاذ أبو طاهر بن سوار وأبو العز القلانسي- وغيرهما الاتفاق على هذا اللفظ بعينه.

وقال الإمام أبو الحسن السخاوي في كتابه «جمال القراء»: إن الذي عليه إجماع الأمة[٣] هو: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

وقال الحافظ أبو عمرو الداني: أنه هو المستعمل عند الحذاق دون غيره، وهو المأخوذ به عند عامة الفقهاء: كالشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم، وقد ورد النص بذلك عن النبي ﷺ، ففي الصحيحين[٤] من حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: استب رجلان عند رسول الله ﷺ ونحن عنده جلوس وأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه. فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجده - لو قال - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**...» الحديث لفظ البخاري في (باب الحذر من الغضب في كتاب الأدب).... اهـ

٢- «**أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم** »[٥]: ذكره أبو عمرو الداني عن أهل مصر- وسائر بلاد المغرب، وقال إنه استعمله منهم أكثر أهل الأداء، ... .

٣- «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم**»[٦]: رُوي عن أبي عمرو،

---

١) وهي قول «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» وما في معنى ذلك، وهذا يُسمى في اللغة بالنحت مثل: الحمدلة وتعني «الحمد لله»، والحوقلة وتعني «لا حول ولا قوة إلا بالله»... وهكذا .

٢) **انظر**: «النشر في القراءات العشر» (١/ ٢٤٣-٢٤٤).

٣) **قال ابن الجزري**: دعوى الإجماع على هذا اللفظ بعينه مشكلة والظاهر أن المراد على أنه المختار فقد ورد تغيير هذا اللفظ والزيادة عليه والنقص منه كما سنذكره ونبين صوابه. «النشر في القراءات العشر» (١/ ٢٤٦).

٤) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٣٢٨٢) / ومسلم رقم (٢٦١٠).

٥) **انظر**: «النشر في القراءات العشر» (١/ ٢٥٠) باختصار.

٦) **انظر**: «النشر في القراءات العشر» (١/ ٢٥٠) باختصار.

وعن أهل مصر والمغرب وعن ورش، وعن أهل المدينة، وعن ابن عامر، والكسائي، وحمزة في أحد وجوهه. وروي عن عمر بن الخطاب ﷺ، ومسلم بن يسار، وابن سيرين، والثوري.... . اهـ

٤- «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم»[١]: رُوي عن حفص، وقُنبل، وورش.اهـ

٥- «أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم»[٢]: رُوي عن ابن كثير.

٦- «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم»[٣]: رُوي عن جماعة، وعن الحسن البصري .

٧- «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأستفتح الله وهو خير الفاتحين»[٤]: رُوي عن خلف عن حمزة.

٨- «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»[٥]: رواه أبو داود[٦] في الدخول إلى المسجد، عن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ وقال: **إذا قال ذلك، قال الشيطان: حُفظ مني سائر اليوم.** إسناده جيد، وهو حديث حسن... . اهـ

٩- «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه»: رُوي عن

١) انظر: «النشر في القراءات العشر» (١/ ٢٥٠) باختصار.

٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» (١/ ٢٥٠) باختصار.

٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» (١/ ٢٥١) باختصار.

٤) انظر: «النشر في القراءات العشر» (١/ ٢٥١) باختصار.

٥) انظر: «النشر في القراءات العشر» (١/ ٢٥١) باختصار.

٦) إسناده جيد: رواه أبو داود رقم (٤٦٦) / والبيهقي في «الدعوات الكبير» رقم (٦٨) من طريق إسماعيل بن بشر بن منصور، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن عبد الله بن المبارك، عن حيوة بن شريح، قال: لقيت عقبة بن مسلم فقلت له: بلغني أنك حدثت عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ ... .

- قال الإمام النووي في «الأذكار» ص (٧٥): حديث حسن، رواه أبو داود بإسناد جيد.

- قال الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار» (١/ ٢٧٧): حديث حسن غريب ورجاله موثقون، وهم رجال الصحيح.

- قال الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود» (٤٨٥): صحيح.

قلت(أحمد الجُبيلي): هذا إسناد رجاله ثقات عدا إسماعيل بن بشر بن منصور فهو صدوق، والله أعلم.

بعضهم[١].

١٠- «اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، وهمزه ونفخه ونفثه»: رُوي عن بعضهم[٢].

١١- «أعوذ بالله من الشيطان»: رُوي عن بعضهم[٣].

... وكذلك بلفظ أستعيذ، واستعذت وغير ذلك من الصيغ، وقد سبق أنَّ الذي أطبق عليه الجماهير المجمهرة من القراء وغيرهم هو قول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، ومن جميل ما قيل في مجمل هذا ما قاله الإمام الشاطبي – رحمه الله –[٤]:

إِذَا مَا أَرَدْتَ الدَّهْرَ تَقْرَأُ فَاسْتَعِذْ ... جِهَارًا مِنَ الشَّيْطَانِ بِاللهِ مُسْجَلاَ
عَلَى مَا أَتَى فِي النَّحْلِ يُسْرًا ... وَإِنْ تَزِدْ لِرَبِّكَ تَنْزِيهًا فَلَسْتَ مُجَهَّلاَ
وَقَدْ ذَكَرُوا لَفْظَ الرَّسُولِ فَلَمْ يَزِدْ ... وَلَوْ صَحَّ هَذَا النَّقْلُ لَمْ يُبْقِ مُجْمَلاَ

وإجمالي معنى الأبيات[٥]: إذا أردت قراءة القرآن في أي زمن من الأزمان، ولأي قارئ من القراء، ومن أي جزء من أجزاء القرآن، سواء كان ذلك أول السورة أو أثناءها فتعوذ في ابتداء قراءتك تعوذًا مجهورًا به، مطابقًا للفظ الوارد في سورة النحل، وهو «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» من غير أن تزيد على هذا اللفظ شيئا، وإن شئت زيادة التعظيم لربك بوصف كمال ونعت جلال، فلست منسوبا إلى الجهل؛ لأنك أتيت بما يفيد كمال تنزيه الله ﷻ وتبرئته من جميع النقائص، كأن تقول: أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم، أو أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وهكذا.

وقد ذكر جماعة من القراء والمحدثين تعوذ الرسول ﷺ، فلم يزد الرسول ﷺ شيئًا على اللفظ الوارد في سورة النحل، فلو كانت الأحاديث الدالة على ترك الزيادة على آية النحل ثابتة صحيحة السند لم تبق إجمالًا في الآية، بل تكون الآية حينئذ واضحة المعنى، بينة المراد متعينًا لفظها عند التعوذ فيقال، ولكن هذه الأحاديث الدالة على ترك الزيادة لما كانت ضعيفة بقيت الآية على إجمالها وإطلاقها فلا يتقيد القارئ بلفظها، بل يجوز له النقص عنه

---

١) **انظر**: «الوافي في شرح الشاطبية» ص (٤٢).

٢) **انظر**: «الوافي في شرح الشاطبية» ص (٤٢).

٣) **انظر**: «النشر في القراءات العشر» (١/ ٢٥١).

٤) **انظر**: «حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع» أبيات (٩٥-٩٦-٩٧) المعروف بالشاطبية.

٥) **انظر**: «الوافي في شرح الشاطبية» ص (٤١-٤٣) بتصرف.

والزيادة. اهـ

*** ثانيًا: إعراب الاستعاذة إعرابًا موجزًا:**

- «**أعوذ**»: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضميرمستتر وجوبًا تقديره أنا.

- «**الباء**»: حرف جر مبنى على الكسر لا محل له من الإعراب.

- «**بالله**»: لفظ الجلالة اسم مجرور بحرف الجر (الباء) وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجار والمجرور متعلقان بالفعل أعوذ.

- «**من**»: حرف جر مبنى على السكون لا محل له من الإعراب.

- «**الشيطان**»: اسم مجرور بحرف الجر (مِن) وعلامة جره الكسرة الظاهرة، والجار والمجرور متعلقان بالفعل أعوذ.

- «**الرجيم**»:صفة لـ (الشيطان) تتبعه في إعرابه، مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

*** ثالثًا معنى «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» إجمالًا:**

قال ابن كثير – رحمه الله –[١]: **ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أي**: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله.

*** رابعًا معنى «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» بشيء بسيط من التفصيل:**

١- «**أعوذ**»[٢]: لغة: فعل مضارع من عاذ يعوذ عوذًا وعياذًا ومَعاذًا فهو عائذ ومُعاذ، والاستعاذة طلب العوذ، فالألف والسين والتاء تدل على الطلب.

والاستعاذة في لغة العرب: الاستجارةُ والتحيُّزُ إلى الشيءِ على معنَى الامتناعِ بِهِ من المكروهِ.

يُقالُ: عُذتُ بفلانٍ واستعَذتُ به أي: لجأتُ إليه. وهو عِيَاذِي أي: مَلجَئِي، كما في قول القائل[٣]:

---

١) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٩).

٢) **انظر**: في ذلك «تاج العروس» (٩/ ٤٣٨) / و«لسان العرب» مصدر (عوذ) / و«المعجم الوسيط» (٢/ ٦٣٥) / و«معجم اللغة المعاصرة» (٢/ ١٥٧٣) وغيرها الكثير .

٣) **انظر**: «الأغاني» (١٨/ ١٩١).

أَعـــوذُ بــــالله مـــــن النّـــــارِ ومنـــكَ يـــا بكـــرُ بـــنَ بَكّـــارِ

وقال المتنبي[١]:

يَـا مَـنْ أَلُـوذُ بِـهِ فِيمَـا أُؤَمِّلُـهُ وَمَـنْ أَعُـوذُ بِـهِ مِمَّـنْ أُحَـاذِرُهُ

لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهِيضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جابره

ويستدل بعض العلماء ببيتي المتنبي هاذين على أنَّ هناك فرقًا اللياذ وبين العوذ؛ حيث أنَّ اللِّياذ لطلب الخير، والعياذ للفرار من الشرِّ[٢].

قال ابن القيم – رحمه الله –[٣]: اعلم أن لفظة «عاذ» وما تصرف منها تدل على التحرز والتحصن والنجاة. وحقيقة معناها: الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه ؛ ولهذا يسمى المستعاذ به: مَعاذا، كما يسمى: ملجأ ووزرا، فمعنى «أعوذ» ألتجئ وأعتصم، وأتحرز.

وفي أصله قولان. أحدها: أنه مأخوذ من الستر.

والثاني: أنه مأخوذ من لزوم المجاورة.

فأما من قال: إنه من الستر فقال: العرب تقول للبيت الذي في أصل الشجرة التي قد استتر بها «عُوّذ» بضم العين وتشديد الواو وفتحها، فكأنه لما عاذ بالشجرة واستتر بأصلها وظلها: سموه عوّذا. فكذلك العائذ قد استتر من عدوه بمن استعاذ به منه واستجنّ به منه.

ومن قال: هو لزوم المجاورة قال: العرب تقول للحم إذا لصق بالعظم فلم يتخلّص منه «عوّذ» لأنه اعتصم به، واستمسك به. فكذلك العائذ قد استمسك بالمستعاذ به، واعتصم به، ولزمه.

والقولان حق. والاستعاذة تنتظمهما معا. فإن المستعيذ مستتر بمعاذه، مستمسك به، معتصم به. قد استمسك قلبه به ولزمه، كما يلزم الولد أباه إذا أشهر عليه عدوه سيفا وقصده به، فهرب منه. فعرض له أبوه في طريق هربه. فإنه يلقي نفسه عليه، ويستمسك به أعظم استمساك. فكذلك العائذ قد هرب من عدوه الذي يبغي هلاكه إلى ربه ومالكه، وفر إليه، وألقى نفسه بين يديه، واعتصم به، والتجأ إليه.

وبعد، فمعنى الاستعاذة القائم بقلب المؤمن وراء هذه العبارات، إنما هي تمثيل وإشارة

---

١) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٩).

٢) **انظر**: «الشرح الممتع على زاد المستقنع» (٣/ ٥٤).

٣) **انظر**: «التفسير القيم» (٦٠١-٦٠٢) باختصار شديد.

وتفهيم، وإلا فما يقوم بالقلب حينئذ من الالتجاء والاعتصام، والانطراح بين يدي الرب، والافتقار إليه، والتذلل بين يديه: أمر لا تحيط به العبارة.

ونظير هذا: التعبير عن معنى محبته وخشيته، وإجلاله ومهابته. فإن العبارة تقصر عن وصف ذلك، ولا تدرك إلا بالاتصاف بذلك، لا بمجرد الوصف والخبر، كما أنك إذا وصفت لذة الوقاع لعنّين لم تخلق له شهوة أصلا، فمهما قربتها وشبهتها بما عساك أن تشبهها به، لم تحصل حقيقة معرفتها في قلبه. فإذا وصفتها لمن خلقت الشهوة فيه وركبت فيه عرفها بالوجود والذوق. اهـ

٢- «بالله»: الباء حرف جر ويأتي على معان منها :

- **الاستعانة مثل**: جاهدتُ في سبيل الله بالسيف .
- **التعليل مثل**: قُتل المرتد بكفره.
- **السببية مثل**: ساءت خاتمته بذنوبه.
- **الإلصاق الحقيقي مثل**: أمسكت بيد الأعمى.
- **الإلصاق المجازي مثل**: مررتُ بالمسجد .

أما لفظ الجلالة «**الله**» فيُعرفونه بقولهم: هو اسمٌ علمٌ على ذات الباري ﷻ لا يُسمى به غيره وتتبعه بقية الاسماء[١] .

أما من حيث الاشتقاق من عدمه فاختلف فيه العلماء اختلافًا واسعًا هل هو مشتق أم مرتجل ؟، ومجمل اختلافهم ذكره العلامة حافظ الحكمي – رحمه الله – حيث قال[٢]:

واختلفوا في كونه مشتقا أو لا، ذهب الخليل وسيبويه وجماعة من أئمة اللغة والشافعي والخطابي وإمام الحرمين ومن وافقهم إلى عدم اشتقاقه ؛ لأن الألف واللام فيه لازمة فتقول يا الله ولا تقول يا الرحمن، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام .

وقال آخرون: إنه مشتق، واختلفوا في اشتقاقه إلى أقوال أقواها أنه مشتق من أله يأله إلهةً، فأصل الاسم الإله، فحُذِفت الهمزة وأُدغمت اللام الأولى في الثانية وجوبا فقيل الله، ومن أقوى الأدلة عليه قوله تعالى :{**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ**} [الْأَنْعَامِ: ٣] مع قوله ﷻ

---

١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٦) / و«مجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمين» (٦/ ١١).

٢) انظر: «معارج القبول بشرح سلم الوصول» (١/ ٦٧).

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٨٤]، ومعناه ذو الألوهية التي لا تنبغي إلا له، ومعنى أله يأله إلهة عبد يعبد عبادة، فالله المألوه أي: المعبود. ولهذا الاسم خصائص لا يحصيها إلا الله ﷻ وقيل: إنه هو الاسم الأعظم . اهـ

وقال الشيخ خليل هراس – رحمه الله –[١]: واسم الجلالة؛ قيل: إنه اسم جامد غير مشتق؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له، فهو كسائر الأعلام المحضة، التي لا تتضمن صفات تقوم بمسمياتها.

والصحيح أنه مشتق، واختُلف في مبدأ اشتقاقه، **فقيل**: من أله يأله ألوهة وإلاهة وألوهية؛ بمعنى: عبد عبادة، **وقيل**: من أله - بكسر اللام - يأله - بفتحها - ألهًا؛ إذا تحير، والصحيح الأول، فهو إله؛ بمعنى مألوه؛ أي: معبود. اهـ

* **قال العلامة ابن القيم –رحمه الله–**[٢]: لهذا الاسم الشريف عشر خصائص لفظية...، وساقها، ثم قال: وأما خصائصه المعنوية فقد قال أعلم الخلق ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[٣]، وكيف نحصي خصائصَ اسمٍ لمسماه كل كمال على الإطلاق، وكل مدح وحمد، وكل ثناء وكل مجد، وكل جلال وكل كمال، وكل عز وكل جمال، وكل خير وإحسان وجود وفضل وبر فله ومنه؟

فما ذُكر هذا الاسم في قليل إلا كثره، ولا عند خوف إلا أزاله ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند هم وغم إلا فرجه، ولا عند ضيق إلا وسَّعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العزة، ولا فقير إلا أصاره غنيا، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه.

فهو الاسم الذي تُكشف به الكُربات، وتُستنزل به البركات، وتُجاب به الدعوات، وتُقال به العثرات، وتُستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات. وهو الاسم الذي قامت به الأرض والسماوات، وبه أُنزلت الكتب، وبه أُرسلت الرسل، وبه شُرعت الشرائع، وبه قامت الحدود، وبه شُرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء، وبه حُقت الحاقة، ووقعت

---

١) **انظر**: «شرحه على الواسطية» ص (٤٧).

وللتوسع انظر «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٦-٣٨) ففيه تفصيل طيب.

٢) **انظر**: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» ص (١٢) نقلًا عنه.

٣) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٤٨٦).

الواقعة، وبه وُضعت الموازين القسط وُنصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار، وبه عُبد رب العالمين وحُمد، وبحقه بُعثت الرسل، وعنه السؤال في القبر ويوم البعث والنشور، وبه الخصام وإليه المحاكمة، وفيه الموالاة والمعاداة، وبه سَعد من عرفه وقام بحقه، وبه شَقي من جهله وترك حقه.

فهو سِر الخلق والأمر، وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا، فالخلق به وإليه ولأجله. فما وُجد خلق ولا أمر ولا ثواب ولا عقاب إلا مبتدئا منه ومنتهيا إليه. وذلك موجبه ومقتضاه {**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**} [آل عمران: ١٩١] .... إلى آخر كلامه -رحمه الله تعالى-. اهـ

٣- «**من**»: حرف من حروف الجر ويأتي على معاني منها:

- **الابتداء مثل**: طفتُ بالكعبة من الحجر الأسود.
- **التبعيض مثل**: أنفقتُ من مالي على الفقراء.
- **السببية مثل**: حسُنت خاتمة فلان من عمله الصالح.

٣- «**الشيطان**»: في لغة العرب مشتق من شَطَن إذا بَعُد، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفِسقه عن كل خير، وقيل مشتق من شاط لأنه مخلوق من نار، ومنهم من يقول: كلاهما صحيح في المعنى ولكن الأول أصح، وعليه يدل كلام العرب، قال أمية بن أبي الصَّلت في ذكر ما أوتي سليمان عليه السلام:

أيما شاطن عصاه عكاه ثم يُلقى في السجن والأغلالِ[1]

فقال أيما شاطن ولم يقل أيما شائط،وقال النابغة الذبياني وهو زياد بن عمرو بن معاوية بن جابر بن ضباب بن يربوع بن مرة بن سعد بن ذبيان:

نأت بسعاد عنك نوى شطون فباتت والفؤاد به رهين[2]

يقول: بعدت بها طريق بعيدة وقال سيبويه: العرب تقول تشيطن فلان إذا فعل فِعل الشياطين ولو كان من شاط لقالوا تشيَّط، فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح؛ ولهذا يُسمون كل من تمرد من جنِّي وإنسي وحيوانٍ شيطانًا. قال الله - تعالى -: {**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**} [الأنعام: ١١٢]،

---

١) **انظر**: «مقاييس اللغة» (٣/ ١٨٥) / و«لسان العرب» مادة (شطن)، والبيت لأمية بن أبي الصلت .

٢) **انظر**: «مقاييس اللغة» (٣/ ١٨٤) / و«لسان العرب» مادة (شطن)، والبيت للنابغة الذبياني.

وفي مسند الإمام أحمد[1] عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يا أبا ذر «**تعوَّذ بالله من شياطين الإنس والجن**» فقلت أو للإنس شياطين؟ قال: «نعم» . وفي صحيح مسلم[2] عن أبي ذر أيضا قال: قال رسول الله ﷺ «**يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب الأسود**» فقلت: يا رسول الله ما بال الكلب الأسود من الأحمر والأصفر؟ فقال: «**الكلب الأسود شيطان**» ... إلى آخر كلام الحافظ ابن كثير – رحمه الله -[3] .

---

١) **إسناده ضعيف جدًا ومعناه صحيح**: رواه النسائي في «المجتبى» (٥٥٠٧) / والإمام أحمد في «المسند» (٢١٥٨٦-٢١٥٩٢) / والحاكم (٣١١٥) وغيرهم من طريق المسعودي عن أبي عمر الشامي عن عبيد بن الخشخاش عن أبي ذر ﷺ به مطولًا.

- **قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٦٠)**: وفيه المسعودي وهو ثقة ولكنه اختلط.

- **قال الدارقطني في «تهذيب الكمال» (٣٤/ ١٠٩)**: المسعودي عن أبي عمر الدمشقي متروك.

- **قال الشيخ الألباني في «ضعيف سنن النسائي» رقم (٤٢٤)**: ضعيف الإسناد.

※قلت(أحمد الجُبيلي)※: هذا – والله أعلم – إسناد ضعيف جدًا لعلل أربعة وهي:

١- ضعف وتليين عبيد بن الخشخاش مع عدم سماعه من أبي ذر كما ذكر البخاري – رحمه الله – في «التاريخ الكبير» (٥/ ٤٤٧).

٢- ضعف أبي عمر أو أبي عمرو الدمشقي .

٣- اختلاط المسعودي، وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودي الكوفي .

٤- قول الدارقطني وهو: المسعودي عن أبي عمر الدمشقي متروك.

كما أنه رُوي من طريق آخر كما عند أحمد في «المسند» رقم (٢٢٣٤٢) / والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٢١٧) من طريق أبي المغيرة، عن معان بن رفاعة، عن علي بن يزيد، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن أبي أمامة ﷺ حكاية بلفظ مقارب .

- **قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٥٩)**: مداره على علي بن يزيد وهو ضعيف.

※قلت(أحمد الجُبيلي)※: وهذا أيضًا إسناد ضعيف جدًا لضعف علي بن يزيد هو ابن أبي هلال الدمشقي، فمدار الطرق عليه، كما أنَّ معان بن معاوية الدمشقي فيه ضعف .

ومع ضعف الإسناد فمعنى هذا الجزء المذكور من الحديث صحيح لقوله تعالى: {**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**} [الأنعام: ١١٢]، والله أعلم .

٢) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٥١٠).

٣) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٠)، وانظر قريبا منه في «تفسير الطبري» (١/ ١١١-١١٢) .

* **ومن جميل كلام ابن القيم – رحمه الله – قوله**[١]: فالعبد مطروح بين الله وبين عدوه إبليس، فإن تولاه الله لم يظفر به عدوه. وإن خذله وأعرض عنه افترسه الشيطان، كما يفترس الذئب الشاة.

فإن قيل: فما ذنب الشاة إذا خلَّى الراعي بين الذئب وبينها، وهل يمكنها أن تقوى على الذئب وتنجو منه؟.

قيل: لعمر الله، إن الشيطان ذئب الإنسان، كما قال الصادق المصدوق، ولكن لم يجعل الله لهذا الذئب اللعين على هذه الشاة سلطانا، مع ضعفها، فإذا أعطت بيدها وسالمت الذئب ودعاها فلبت دعوته وأجابت أمره ولم تتخلف، بل أقبلت نحوه سريعة مطيعة، وفارقتْ حِمى الراعي الذي ليس للذئاب عليه سبيل، ودخلتْ في محل الذئاب الذي من دخله كان صيدًا لهم، فهل الذئب كل الذئب إلا الشاة؟ فكيف والراعي يُحذرها ويُخوفها وينذرها؟ وقد أراها مصارع الشاة التي انفردت عن الراعي، ودخلت وادي الذئاب. اهـ

قال أبو العلاء المعري[٢]:

ألا تتّقُونَ اللّهَ رَهطَ مسلِّمٍ ... فقد جُرتمُ في طاعةِ الشّهواتِ

ولا تتْبَعوا الشيطانَ في خُطُواتِه ... فكم فيكمُ من تابع الخُطُواتِ

٤- «**الرجيم**»: هذه اللفظة في تفسيرها ثلاث أقوال وهي[٣]:

أ- أن يكون معناه المرجوم بالنجوم فصرف عن المرجوم إلى الرجيم كما تقول العرب طبيخ وقدير والأصل مطبوخ ومقدور، وكذلك جريح وقتيل أصلهما مقتول ومجروح، فصُرِفا من مفعول إلى فعيل، قال امرؤ القيس:

فظلَّ طُهاةُ اللحمِ من بينِ مُنْضجٍ ... صفيفَ شِواءٍ أو قَديرٍ مُعَجَّلِ

أراد مقدور معجَّل فصُرف عن مفعول إلى فعيل.

ب- أن يكون الرجيم المرجوم أي المشتوم المسبوب فيكون من قول الله ﷻ {**لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**} [مريم: ٤٦] معناه لأشتمنك ولأسبنك.

ج- أن يكون الرجيم الملعون، وهو مذهب أهل التفسير، والملعون عند العرب المطرود،

---

١) **انظر**: «التفسير القيم» ص (٢٢٠).

٢) **انظر**: «ديوان أبي العلاء المعري» قصيدة (ألا تتقون الله رهط مسلم).

٣) **انظر**: «الزاهر في معاني كلمات الناس» (١/ ٥٤).

إذا قالت العرب لعن الله فلانًا فمعناه: طرده الله، وكذلك على الكافر لعنـةُ اللهِ فمعنـاه عليـه طَرْدُ الله، أنشدنا أبو العباس:

ومـــاءٍ قـــد وردتُ لوصـــلِ أَروى ... عليـــهِ الطـــيرُ كالـــوَرقِ اللَّجِـــينِ

ذَعَـــرْتُ بـــه القَطـــا ونَفَيْـــتُ عنـــه ... مقـــامَ الذئـــبِ كالرجـــلِ اللعـــينِ

معناه كالرجل المطرود . اهـ

قال ابن جرير الطبري – رحمه الله –[١]: وأما الرجيم فهو: فَعيـل بمعـنى مفعـول، كقـول القائل: كفٌّ خضيبٌ، ولحيةٌ دهين، ورجل لَعينٌ، يريد بذلك: مخضوبة ومدهونة وملعون.

وتأويل الرجيم: الملعون المشتوم. وكل مشتوم بقـولٍ رديء أو سـبٍّ فهـو مَرْجُـوم. وأصـل الرجم الرَّميُ، بقول كان أو بفعل. ومن الرجم بالقول قول أبي إبراهيم لإبـراهيم - صـلوات الله عليه -: {لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأرْجُمَنَّكَ} [سورة مريم: ٤٦] .

وقد يجوز أن يكـون قِيل للشيطان رجيمٌ، لأن الله جل ثناؤه طَرَده مـن سَـمواته، ورجمـه بالشُّهب الثَّواقِب. اهـ

* **خامسًا هل الاستعاذة آية من القرآن ؟**

قال الإمام القرطبي – رحمه الله –[٢]: أجمع العلماء على أن التعوذ ليس من القرآن ولا آية منه، وهو قول القارئ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وهذا اللفظ هو الذي عليه الجمهور من العلماء في التعوذ لأنه لفظ كتاب الله تعالى. اهـ

* **سادسًا حكمها:**

قال ابن كثـير – رحمـه الله –[٣]: وجمهـور العلمـاء على أن الاسـتعاذة مسـتحبة ليسـت بمتحتمة يأثم تاركها، وحكى الرازي عن عطاء بن أبي رباح وجوبها في الصلاة وخارجهـا كلمـا أراد القراءة، قال: وقال ابن سيرين: إذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب . واحتج الرازي لعطاء بظاهر الآية {**فاستعذ**}[٤] وهو أمر ظاهره الوجـوب، وبمواظبـة النـبي ﷺ

---

١) **انظر**: «تفسير الطبري» (١/ ١١٢).

٢) **انظر**: «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٨٧).

٣) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٨).

٤) **وقال القرطبي – رحمه الله –**: هذا الأمر على الندب في قول الجمهور في كل قـراءة في غـير الصـلاة، واختلفـوا فيـه في الصلاة. حكى النقاش عن عطاء: أن الاستعاذة واجبة. وكان ابن سيرين والنخعي وقوم يتعوذون في الصلاة كل ركعـة،

عليها، ولأنها تدرأ شر الشيطان، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولأن الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب .

وقال بعضهم: كانت واجبة على النبي ﷺ دون أمته، وحُكي عن مالك أنه لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ لقيام رمضان في أول ليلة منه. اهـ

* سابعًا مكان الاستعاذة:

تكون الاستعاذة على الصحيح عند ابتداء القراءة، فقد قال القرطبي - رحمه الله -[١]:

أمر الله تعالى بالاستعاذة عند أول كل قراءة فقال تعالى: {**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**} [النحل: ٩٨] أي إذا أردت أن تقرأ؛ فأوقع الماضي موقع المستقبل كما قال الشاعر:

وإني لآتيكم لذكرى الذي مضى   من الود واستئناف ما كان في غد

أراد ما يكون في غد؛ وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، وأن كل فعلين تقاربا في المعنى جاز تقديم أيهما شئت؛ كما قال تعالى: {**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى**} [النجم: ٨] المعنى فتدلى ثم دنا؛ ومثله: {**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**} [القمر: ١] وهو كثير.

قال أبو بكر بن العربي - رحمه الله -: انتهى العي بقوم إلى أن قالوا: إذا فرغ القارئ من قراءة القرآن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

فإن قيل: فما الفائدة في الاستعاذة من الشيطان الرجيم وقت القراءة؟ **قلنا**: فائدتها امتثال الأمر؛ وليس للشرعيات فائدة إلا القيام بحق الوفاء لها في امتثالها أمرًا أو اجتنابها نهيًا؛ **وقد قيل**: فائدتها امتثال الأمر بالاستعاذة من وسوسة الشيطان عند القراءة؛ كما قال تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ**} [الحج: ٥٢].

قال ابن العربي: ومن أغرب ما وجدناه قول مالك في المجموعة في تفسير هذه الآية: {**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**} [النحل: ٩٨] قال: ذلك بعد قراءة القرآن لمن

ويمتثلون أمر الله في الاستعاذة على العموم، وأبو حنيفة والشافعي يتعوذان في الركعة الأولى من الصلاة ويريان قراءة الصلاة كلها قراءة واحدة؛ ومالك لا يرى التعوذ في الصلاة المفروضة ويراه في قيام رمضان. «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٨٦).

١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٨٦-٨٨) باختصار.

قرأ في الصلاة، وهذا قول لم يرد به أثر، ولا يعضده نظر؛ فإن كان هذا كما قال بعض الناس: أن الاستعاذة بعد القراءة، كان تخصيص ذلك بقراءة أم القرآن في الصلاة دعوى عريضة، ولا تشبه أصل مالك ولا فهمه؛ فالله أعلم بسر هذه الرواية. اهـ

* ثامنًا أوجه الاستعاذة مع البسملة عند أول السِّور[1]:

للاستعاذة مع البسملة عند أول كل سورة، ما عدا سورة التوبة أربعة أوجه، وهي كالتالي:

الوجه الأول: **قطع الجميع**؛ أي: قطع الاستعاذة عن البسملة، وقطع البسملة عن أول السورة، فيقرأ الاستعاذة، ثم يتوقف، ثم يقرأ البسملة، ثم يتوقف، ثم يقرأ أول السورة.

الوجه الثاني: **قطع الأول ووصل الثاني بالثالث**؛ أي: قطع الاستعاذة عن البسملة، ثم وصل البسملة مع أول السورة، فيقرأ الاستعاذة، ثم يتوقف، ثم يقرأ البسملة ويصلها بأول السورة.

الوجه الثالث: **وصل الأول بالثاني وقطع الثالث**؛ أي: وصل الاستعاذة بالبسملة، ثم يتوقف، ثم يقرأ أول السورة.

الوجه الرابع: **وصل الجميع**؛ أي: وصل الاستعاذة بالبسملة مع وصل البسملة مع أول السورة بغير توقف.

* تاسعًا أوجه الإسرار والجهر بها[2]:

للاستعاذة عند بدء القراءة حالتان، هما: الجهر أو الإخفاء، أما الجهر بها: فيُستحب عند بدء القراءة في موضعين:

١- إذا كان القارئ يقرأ جهرًا، وكان هناك من يستمع لقراءته.

٢- إذا كان القارئ وسط جماعة يقرءون القرآن، وكان هو المبتدئ بالقراءة.

وأما إخفاؤها: فيُستحب في أربعة مواضع:

١- إذا كان القارئ يقرأ سرًّا.

---

١) انظر: «العميد في علم التجويد» ص (١٢) / و«الإضاءة في أصول القراءة» ص (١٠) / و«غاية المريد في علم التجويد» ص (٤٥) وغير ذلك.

٢) انظر: «غاية المريد في علم التجويد» ص (٤٥) نقلًا عن «الإضاءة في أصول القراءة» ص (١٠) بتصرف / وانظر كذلك «القول السديد في علم التجويد» ص (٤٢-٤٣) وغير ذلك .

٢- إذا كان القارئ يقرأ جهرًا، وليس معه أحد يستمع لقراءته.

٣- إذا كان يقرأ في الصلاة سواء كان إمامًا أم مأمومًا أم منفردًا، ولا سيما إذا كانت الصلاة جهرية.

٤- إذا كان يقرأ وسط جماعة وليس هو المبتدئ بالقراءة.

* **فائدة**: لو قطع القارئ قراءته لعذر طارئ كالعطاس أو التنحنح أو لكلام يتعلق بمصلحة القراءة لا يعيد الاستعاذة، أما لو قطعها إعراضًا عن القراءة، أو لكلام لا تعلق له بالقراءة ولو لِرَدِ السلام، فإنه يستأنف الاستعاذة. اهـ

* **عاشرًا فضل الاستعاذة:**

قال الله ﷻ {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [الأعراف: ٢٠٠، ٢٠١].

وقال تعالى {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت: ٣٦].

وقال سبحانه {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ} [المؤمنون: ٩٦ - ٩٨].[1]

وقال جل جلاله {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)} [الناس: ١ - ٦].

وروى الشيخان[2] من حديث سليمان بن صُرَدٍ ؓ قال: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ، فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ**»، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ

---

١) **قال ابن كثير - رحمه الله - في هذه الآيات الثلاث (الأعراف - فصلت - المؤمنون)**: فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها، وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى الموادة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانا ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل كما قال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ} [الأعراف: ٢٧]. «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٦)

٢) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٣٢٨٢) / ومسلم رقم (٢٦١٠).

النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ.

وروى مسلم في صحيحه(١) أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا**» قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي.

وبهذا نكون قد انتهينا من الاستعاذة وما يتعلَّق بها إجمالًا،
ونشرع الآن في الكلام على البسملة إجمالًا أيضًا،
والحمد لله رب العالمين.

***

---

١) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٢٠٣).

{فصل في البسملة}

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»(١)

* أولًا: إعراب البسملة إعرابًا موجزًا:

- الباء: حرف جر، مبني على الكسر، لا محل له من الإعراب.
- اسم: اسم مجرور بحرف الجر الباء، وعلامة جره الكسرة الظاهرة، وهو مضاف.

والجار والمجرور (بسم) : متعلق بمحذوف اختلفوا في تقديره(٢)، فذهب الكوفيون إلى أن تقديره فعل مضارع (أبتدئ، أو أقرأ) فيكون التقدير (بسم الله ابتدئ) أو (بسم الله أقرأ) .

وذهب البصريون إلى أن المحذوف تقديره اسم و هو (قراءتي، أو ابتدائي)، فيكون التقدير (بسم الله ابتدائي) أو (بسم الله قراءتي).

وقال العلامة العثيمين – رحمه الله-(٣): الجار والمجرور متعلق بمحذوف فعل مؤخر مناسب للمقام، تقديره باسم الله أكتب أو أصنف.

وقدرناه فعلا؛ لأن الأصل في العمل الأفعال.

وقدرناه مؤخرا لفائدتين:

الأولى: التبرك بالبداءة باسم الله سبحانه وتعالى(٤).

---

١) قال القرطبي – رحمه الله – في «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٩١): وقال بعض العلماء: إن {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} تضمنت جميع الشرع، لأنها تدل على الذات وعلى الصفات. وهذا صحيح.

٢) قال الشيخ خليل هراس في «شرحه على العقيدة الواسطية» ص (٤٥): والباء في «بسم» للاستعانة، وهي متعلقة بمحذوف، قدَّره بعضهم فعلًا، وقدَّره بعضهم اسما، والقولان متقاربان، وبكل ورَد في القرآن؛ قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: ١]، وقال: {بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا} [هود: ٤١].

٣) انظر: «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٦/ ١١).

٤) قال ابن جرير الطبري – رحمه الله – في «تفسيره جامع البيان» (١/ ١١٤): إن الله تعالى ذكره وتقدَّست أسماؤه أدّب نبيه محمدًا ﷺ بتعليمه تقديمَ ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله، وتقدَّم إليه في وَصفه بها قبل جميع مُهمَّاته، وجعل ما أدّبه به من ذلك وعلَّمه إياه، منه لجميع خلقه سُنَّةً يستَنُّون بها، وسبيلا يتَّبعونه عليها، فبه افتتاح أوائل منطقهم، وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم، حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل: «بسم الله»، على من بطن من مراده الذي هو محذوف.

الثانية: إفادة الحصر؛ لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر.

وقدرناه مناسبا؛ لأنه أدل على المراد، فلو قلنا مثلا عندما نريد أن نقرأ كتابا: باسم الله أبتدئ، ما يدرى بماذا أبتدئ، لكن باسم الله أقرأ يكون أدل على المراد الذي أبتدئ به. اهـ

- **الله**: لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة .

- **الرحمن**: صفة يتبع الموصوف لفظ الجلالة (الله) في إعرابه، مجرور، وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

- **الرحيم**: أيضًا صفة يتبع الموصوف لفظ الجلالة (الله) في إعرابه، مجرور، وعلامة جره الكسرة الظاهرة.

* **ثانيًا تعريف البسملة تعريفًا بشيء يسير من التفصيل:**

- «**بسم**»: الباء أداة تخفض ما بعدها وقد سبق معانيها التي تأتي عليها آنفًا في الكلام على الاستعاذة، وهي هنا على معنى الاستعانة .

وإسقاط الألف هنا من الاسم طلبا للخفة لكثرة استعمالها، **وقيل**: لما أسقطوا الألف ردوا طولها على الباء ليدل على السقوط ولذلك لما كتبت الألف في {**اقرأ باسم ربك الذي خلق**} [العلق: ١] ردت الباء إلى هيئتها[١] .

قال القرطبي - رحمه الله -[٢]: {بِسْمِ اللَّهِ}، تكتب بغير ألف استغناء عنها بباء الإلصاق في اللفظ والخط لكثرة الاستعمال؛ بخلاف قوله: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} [العلق: ١] فإنها لم تحذف لقلة الاستعمال. واختلفوا فيحذفها مع الرحمن والقاهر؛ فقال الكسائي وسعيد الأخفش: تحذف الألف. وقال يحي بن وثاب: لا تحذف إلا مع {بِسْمِ اللَّهِ} فقط، لأن الاستعمال إنما كثر فيه. اهـ

* **أما لفظة (اسم)**: فقد اختلفوا أيضًا في أصل اشتقاقها أهو من السِّمة - أي العلامة - ؟ أم من السمو - أي العلو - ؟

قال القرطبي - رحمه الله -[٣]: **اختلفوا في اشتقاق الاسم على وجهين؛ فقال البصريون**: هو مشتق من السمو وهو العلو والرفعة، فقيل: اسم لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به. **وقيل**: لأن

---

١) **انظر**: «معارج القبول» (١/ ٦٦).

٢) **انظر**: «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٩٩).

٣) **انظر**: «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ١٠١).

الاسم يسمو بالمسمى فيرفعه عن غيره. **وقيل**: إنما سمي الاسم اسما لأنه علا بقوته على قسمي الكلام: الحرف والفعل؛ والاسم أقوى منهما بالإجماع لأنه الأصل؛ فلعلوه عليهما سمي اسما؛ فهذه ثلاثة أقوال.

وقال الكوفيون: إنه مشتق من السمة وهي العلامة؛ لأن الاسم علامة لمن وضع له؛ فأصل اسم على هذا «وسم».

والأول أصح؛ لأنه يقال في التصغير سمي وفي الجمع أسماء؛ والجمع والتصغير سمي وفي الجمع أسماء؛ والجمع والتصغير يرُدَّان الأشياء إلى أصولها؛ فلا يقال: وسيم ولا أوسام... اهـ

- ولفظة (اسم) هنا تشمل كل أسماء الله ﷻ لأنه مفرد مضاف، وأي اسم مفرد مضاف يفيد العموم والشمول، فيكون المعنى (بأسماء) . اهـ

قال العلامة السعدي – رحمه الله –[1]: المقرر: أن المفرد المضاف يفيد العموم كما يفيد ذلك اسم الجمع.

فكما أن قوله تعالى: { **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ** } [النساء: ٢٣] إلى آخرها يشمل كل أم انتسبت إليها، وإن علت . وكل بنت انتسبت إليك وإن نزلت ـ إلى آخر المذكورات ـ فكذلك قوله تعالى: { **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** } [الضحى:١١] فإنها تشمل النعم الدينية والدنيوية، وقوله: { **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** } [الأنعام:١٦٢] فإنها تعم الصلوات كلها، والأنساك كلها، وجميع ما العبد فيه وعليه في حياته ومماته، الجميع من الله فضلًا وإحسانًا، وأنك قد أتيت ما أتيت منه وأوقعته وأخلصته لله وحده، لا شريك له . اهـ

- «**الله**»: سبق الكلام عن لفظ الجلالة «**الله**» في الاستعاذة فليُراجع، **وأذكر هنا كلامًا للقرطبي – رحمه الله – حيث قال**[2]: «**الله**» هذا الاسم أكبر أسمائه – سبحانه - وأجمعها، حتى قال بعض العلماء: إنه اسم الله الأعظم ولم يتسم به غيره؛ ولذلك لم يُثن ولم يُجمع؛ وهو أحد تأويلي قوله تعالى: {**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**} [مريم: ٦٥] أي تسمى باسمه الذي هو «**الله**»، فالله اسم للحق الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، لا إله إلا هو سبحانه. اهـ

---

١) **انظر**: «القواعد الحسان في تفسير القرآن» ص (١٨).

٢) **انظر**: «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ١٠٢).

- «الرحمن»: أي المتصف بالرحمة الواسعة التي لا نظير لها[١]، وهو من الأسماء التي اختص[٢] بها الله – تبارك وتعالى - ، واختلفوا في اشتقاقه، فذهب جماعة إلى عدم اشتقاقه، أما الجمهور فذهبوا إلى اشتقاقه من الرحمة مبني على المبالغة؛ ومعناه ذو الرحمة الذي لا نظير له فيها، فلذلك لا يثنى ولا يجمع كما يُثنى «الرحيم» ويُجمع.

قال ابن الحصار: ومما يدل على الاشتقاق ما خرَّجه الترمذي[٣] وصححه عن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع رسول الله ﷺ : يقول: **قال الله ﷻ أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته**. وهذا نص من الاشتقاق، فلا معنى للمخالفة والشِّقاق، وإنكار العرب له لجهلهم بالله وبما وجب له.[٤] اهـ

- «الرحيم»: مشتق من الرحمة، وهو بمعنى الرحمة الواصلة لعباده المؤمنين، ويُطلق على الله ﷻ وعلى غيره صفة.

---

١) قال الخطابي – رحمه الله -: «الرحمن» : ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم ومصالحهم، وعمَّت المؤمن والكافر. انظر «زاد المسير» (١/ ١٠١٦).

٢) قال ابن كثير – رحمه الله – في «تفسيره» (١/ ٤٠): ولما تجهرم مسيلمة الكذاب وتسمى برحمن اليمامة كساه الله جلباب الكذب وشهر به، فلا يقال إلا مسيلمة الكذاب، فصار يُضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضر من أهل المدر وأهل الوبر من أهل البادية والأعراب.

٣) صحيح: رواه أبو داود رقم (١٦٩٤) / والترمذي رقم (١٩٠٧) / وأحمد في «المسند» رقم (١٦٨٠) / والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٥٣) / وابن حبان في «صحيحه» رقم (٤٤٣) / وأبو يعلى في «مسنده» رقم (٨٤٠) / والحاكم في «المستدرك» رقم (٧٢٦٨) وغيرهم، من طرق عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي الردَّاد الليثي، عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ مرفوعًا إلى النبي ﷺ .

- قال الترمذي: حديث صحيح.

- قال الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٥٩٤): صحيح.

قلت(أحمد الجُبيلي): هذا إسناد رجاله ثقات، وقد تعددت الطرق لهذا الحديث، وليس المجال لسرد ذلك والحكم عليه، كما أن أصل هذا الحديث عند البخاري في «صحيحه» رقم (٥٩٨٨) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ**.

وفي الصحيح أيضا رقم (٥٩٨٩) عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – بلفظ قريب جدًا، ومعنى شجنة في اللغة: عروق الشجر المشتبكة، والله أعلم .

٤) انظر : «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ١٠٤).

قال القرطبي – رحمه الله –[1]: واختلفوا هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين؟ **فقيل**: هما بمعنى واحد؛ كندمان ونديم. قاله أبو عبيدة.

وقيل: ليس بناء فعلان كفعيل، فإن فعلان لا يقع ألا على مبالغة الفعل[2]، نحو قولك: رجل غضبان، للمتلئ غضبًا. وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول.

فـ «الرحمن» خاص الاسم عام الفعل، و«الرحيم» عام الاسم خاص الفعل. هذا قول الجمهور.

قال أبو علي الفارسي: «الرحمن» اسم عام في جميع أنواع الرحمة، يختص به الله، «والرحيم» إنما هو في وجهة المؤمنين؛ كما قال تعالى: {**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**} [الأحزاب: ٤٣].

وقال العرزمي: «الرحمن» بجميع خلقه في الأمطار ونعم الحواس والنعم العامة، «والرحيم» بالمؤمنين في الهداية لهم، واللطف بهم.

وقال ابن المبارك: «الرحمن» إذا سئل أعطي، و«والرحيم» إذا لم يسأل غضب. وقد أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب. اهـ

قلت (أحمد الجُبيلي): وخلاصة الكلام على الرحمن والرحيم: أن الرحمة نوعان وهما:

١- رحمة عامة: وهي رحمة ما تقوم به الأبدان لا ما تصلح به الأديان، و تشمل المؤمن والكافر البر والفاجر كل على حد سواء، وهي رحمة المأكل والمشرب والملبس ... إلى آخره.

٢- رحمة خاصة: وهذه قسمان، وهما:

أ- خاصة أعم: وهي تشمل المؤمنين فقط، وهي في الدنيا مثل الهداية للإسلام وفعل الطاعات واجتناب المعاصي والمنكرات ...، وفي الآخرة دخولهم الجنات.

ب- خاصة أخص: وهذه تشمل الأنبياء والمرسلين فقط، وهي في الدنيا إعطاؤهم النبوة والرسالة، وفي الآخرة إعطاؤهم أعلى الدرجات في الجنات.

---

١) **انظر**: «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ١٠٥)، وفي «جامع البيان» (١/ ١٢٦-١٢٩) كلام ماتع فليُراجع.

٢) **قال ابن كثير – رحمه الله – في «تفسيره» (١/ ٤٠)**: وقد زعم بعضهم أن الرحيم أشد مبالغة من الرحمن لأنه أكد به والتأكيد لا يكون إلا أقوى من المؤكد، والجواب أن هذا ليس من باب التأكيد وإنما هو من باب النعت ولا يلزم فيه ما ذكروه.

* **قال علامة الزمان ابن عثيمين – رحمه الله –**[(١)]: وأنكر الأشاعرة وغيرهم من أهل التعطيل أن يكون الله – تعالى - متصفًا بالرحمة، قالوا: لأن العقل لم يدل عليها. وثانيًا: لأن الرحمة رقة وضعف وتطامن للمرحوم، وهذا لا يليق بالله ﷻ ؛ لأن الله أعظم من أن يرحم بالمعنى الذي هو الرحمة، ولا يمكن أن يكون لله رحمة!! وقالوا: المراد بالرحمة: إرادة الإحسان، أو: الإحسان نفسه، أي: إما النعم، أو إرادة النعم.

فتأمل الآن كيف سلبوا هذه الصفة العظيمة التي كل مؤمن يرجوها ويؤملها، كل إنسان لو سألته: ماذا تريد؟ قال: أريد رحمة الله {**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**} [الأعراف: ٥٦] . أنكروا هذا، قالوا: لا يمكن أن يُوصف الله بالرحمة!!

ونحن نرد عليهم قولهم من وجهين: بالتسليم، والمنع:

التسليم أن نقول: هب أن العقل لا يدل عليها، ولكن السمع دل عليها، فثبتت بدليل آخر، والقاعدة العامة عند جميع العقلاء: **أن انتفاء الدليل المعين لا يستلزم انتفاء المدلول؛** لأنه قد يثبت بدليل آخر. فهب أن الرحمة لم تثبت بالعقل، لكن ثبتت بالسمع، وكم من أشياء ثبتت بأدلة كثيرة.

أما المنع، فنقول: إن قولكم: إن العقل لا يدل على الرحمة: قول باطل، بل العقل يدل على الرحمة، فهذه النعم المشهودة والمسموعة، وهذه النقم المدفوعة، ما سببها؟ إن سببها الرحمة بلا شك، ولو كان الله لا يرحم العباد، ما أعطاهم النعم، ولا دفع عنهم النقم!

وهذا أمر مشهود، يشهد به الخاص والعام، العامي في دكانه أو سوقه يعرف أن هذه النعم من آثار الرحمة.

والعجيب أن هؤلاء القوم أثبتوا صفة الإرادة عن طريق التخصيص، قالوا: الإرادة ثابتة لله تعالى بالسمع والعقل: بالسمع: واضح. وبالعقل: لأن التخصيص يدل على الإرادة، ومعنى التخصيص يعني تخصيص المخلوقات بما هي عليه يدل على الإرادة، كون هذه السماء سماء، وهذه الأرض أرضًا، وهذه النجوم وهذه الشمس ... هذه مختلفة بسبب الإرادة، أراد الله أن تكون السماء سماء، فكانت، وأن تكون الأرض أرضًا، فكانت، والنجم نجمًا، فكان.... وهكذا.

قالوا: فالتخصيص يدل على الإرادة؛ لأنه لولا الإرادة لكان الكل شيئًا واحدًا!

---

١) **انظر**: «شرحه على العقيدة الواسطية» ص (٢٥٧-٢٥٨).

نقول لهم: يا سبحان الله العظيم! هذا الدليل على الإرادة بالنسبة لدلالة النعم على الرحمة أضعف وأخفى من دلالة النعم على الرحمة؛ لأن دلالة النعم على الرحمة يستوي في علمها العام والخاص، ودلالة التخصيص على الإرادة لا يعرفها إلا الخاص من طلبة العلم، فكيف تنكرون ما هو أجلى وتثبتون ما هو أخفى؟! وهل هذا إلا تناقض منكم؟! اهـ

*** ثالثًا هل البسملة آية من القرآن ؟**

هذه المسألة اختلف فيها أهل العلم على خمسة أقوال أوردها ابن الجزري في كتابه «النشر في القراءات العشر»[١]، وملخصها كالتالي:

١- **أنها ليست آية في أي سورة،** ولكنها جزء من آية في سورة النمل، وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة.

٢- **أنها آية في كل سورة من القرآن،** وجزء من آية في سورة النمل، وهو المشهور من مذهب أحمد، وقول داود وأصحابه، وقول أبي الحسن الكرخي من الحنفية.

٣- **أنها آية من أول الفاتحة ومن أول سورة،** وجزء من آية في سورة النمل، وهو الأصح من مذهب الشافعي ومن وافقه وهو رواية عن أحمد ونسب إلى أبي حنيفة.

٤- **أنها آية من أول الفاتحة بعض آية من غيرها،** وجزء من آية في سورة النمل وهو القول الثاني عند الشافعي.

٥- **أنها آية في الفاتحة،** وجزء من آية في سورة النمل، وافتتاحية لباقي السور، وهذا مذهب أهل مكة والكوفة ومن وافقهم. اهـ

والقول الأول والخامس - عندي - لهما وجاهة كبيرة والله أعلم.

*** رابعًا هل البسملة يجهر بها في الصلاة الجهرية أم لا ؟**

هذه المسألة مختلف فيها إجمالًا على قولين وهما:

١- **لا يجهر بها**: وذلك لما ذكره أنس بن مالك رضي الله عنه كما في الصحيحين[٢] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - كَانُوا يَفْتَتِحُونَ الصَّلَاةَ بِـ {**الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ**}.

وهناك رواية لمسلم[٣] فيها: فَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِـ {**الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ**}، لَا يَذْكُرُونَ

---

١) **انظر**: «النشر في القراءات العشر» (١/ ٣٠٩) باختصار.

٢) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٧٤٣) / ومسلم رقم (٣٩٩).

٣) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٣٩٩).

{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} فِي أَوَّلِ قِرَاءَةٍ وَلَا فِي آخِرِهَا.

وهذا القول أقرب إلى الصواب، وهو المروي عن أبي بكر، وعمر بن الخطاب، وابن مسعود، وعمار ﷺ، وهو قول الأوزاعي، وأبي حنيفة، والثوري، وأحمد، وأبي عبيد، والحكم، وحماد ورجحه القرطبي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والشيخ الألباني وغيرهم والله أعلم.

٢- **يجهر بها**: لأنها آية منها – طبعا عند من عدَّها آية – فلا معنى للإسرار بها كباقي آيات القرآن، وكذلك لما رواه النسائي[(١)] وغيره من حديث عَنْ نُعَيْمٍ الْمُجْمِرِ قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ

---

١) **إسناده ربَّما يُحسَّن وأُعِلَّ بالشذوذ**: رواه النسائي في «المجتبى» رقم (٩٠٥) / وابن خزيمة في «صحيحه» رقم (٤٩٩) / وابن حبان في «صحيحه» رقم (١٧٩٧-١٨٠١) / والحاكم رقم (٨٤٩) / والبزار في «مسنده» رقم (٨١٥٦) / وابن الجارود في «المنتقى» رقم (١٨٤) وغيرهم من طريق خالد بن يزيد الجمحي، عن سعيد بن أبي هلال، عن نعيم بن عبد الله المجمر به.

- **قال الحاكم**: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

- **قال الشيخ الألباني في «تمام المنة» (١٦٨-١٦٩)**: قال الحافظ في «الفتح» : وهو أصح حديث ورد في الجهر بالبسملة.

قلت – أي الشيخ الألباني -: ينبغي أن يُعلم أن عبارة الحافظ هذه لا تفيد عند المحدثين أن الحديث صحيح وإنما تعطي له صحة نسبية، قال النووي – رحمه الله – : لا يلزم من هذه العبارة صحة الحديث فإنهم يقولون : «هذا أصح ما جاء في الباب » وإن كان ضعيفا ومرادهم أرجحه أو أقله ضعفا . . قلت : ولعل الحافظ – رحمه الله – لم يصحح الحديث لأن بعض المحدثين قد أعل ذكر البسملة فيه بالشذوذ ومخالفة جميع الثقات الذين رووا الحديث عن أبي هريرة ولم يذكروها فيه كما رواه الشيخان وغيرهما من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة، وقد أطال في بيان ذلك الزيلعي في «نصب الراية» فراجعه (١ / ٣٣٥ – ٣٣٧) .

وأقول الآن : إنه عند ابن خزيمة وغيره من طريق ابن أبي هلال واسمه سعيد وكان اختلط وبه أعللتُ الحديث في التعليق على «صحيح ابن خزيمة» رقم (٤٩٩) – طبعة المكتب الإسلامي، ثم إن الحديث لو صح فليس فيه التصريح بالجهر بها ولا برفعها إلى النبي ﷺ، وقول أبي هريرة في آخره : « **إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ** » لا يلزم منه رفع كل ما فعله أبو هريرة فيه كما فصل ذلك شيخ الإسلام في «الفتاوى» (١ / ٨١) فراجعه .

والحق أنه ليس في الجهر بالبسملة حديث صريح صحيح، بل صح عنه ﷺ الإسرار بها من حديث أنس، وقد وقفتُ له على عشرة طرق ذكرتها في تخريج كتابي «صفة صلاة النبي ﷺ» أكثرها صحيحة الأسانيد، وفي بعض ألفاظها التصريح بأنه ﷺ لم يكن يجهر بها وسندها صحيح على شرط مسلم وهو مذهب جمهور الفقهاء وأكثر أصحاب الحديث وهو الحق الذي لا ريب فيه، ومن شاء التوسع في هذا البحث فليراجع «فتاوى شيخ الإسلام» ففيها مقنع لكل عاقل منصف. اهـ

أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَرَأَ: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، ثُمَّ قَرَأَ بِأُمِّ الْقُرْآنِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}، فَقَالَ: «آمِينَ». فَقَالَ النَّاسُ: آمِينَ وَيَقُولُ: كُلَّمَا سَجَدَ «اللَّهِ أَكْبَرُ»، وَإِذَا قَامَ مِنَ الْجُلُوسِ فِي الِاثْنَتَيْنِ قَالَ: «اللَّهِ أَكْبَرُ»، وَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَشْبَهُكُمْ صَلَاةً بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

ويُروى هذا القول عن ابن عمر ﵁، وابن شهاب، والشافعي، وإسحاق، وأبي ثور، وأبي عبيد، ورواية عن مالك وغيرهم، والحمد لله الأمر في هذا واسع – مع ترجيحنا للأول – فلا يسوغ أحد لنفسه أن يُبدِّع أو يُجرِّح من خالفه في هذه المسألة، والله أعلم .

* **خامسًا أوجه البسملة بين السورتين:**

قال ابن الجزري – رحمه الله –[١]: إذا فُصل بالبسملة بين السورتين أمكن أربعة أوجه:

الأول: أولاها قطعها عن الماضية ووصلها بالآتية.

والثاني: وصلها بالماضية وبالآتية،

والثالث: قطعها عن الماضية وعن الآتية وهو مما لا نعلم خلافًا بين أهل الأداء في جوازه إلا ما انفرد به مكي فإنه نص في البصرة على جواز الوجهين الأولين ومنع الرابع وسكت عن هذا الثالث فلم يذكر فيه شيئًا.

والرابع: وصلها بالماضية وقطعها عن الآتية وهو ممنوع ؛ لأن البسملة لأوائل السور لا لأواخرها، قال صاحب «التيسير» والقطع عليها إذًا وصلت بأواخر السور غير جائز.

* **سادسًا بعض الأعمال التي يُشرع ويُستحب الابتداء فيها بالبسملة**[٢]:

قلت(أحمد الجُبيلي): وهذا إسناد رجاله ثقات عدا سعيد بن أبي هلال فقد رُمي بالاختلاط، كما يُروى هذا عن الإمام أحمد، وأصل الحديث في صحيحي البخاري رقم (٧٨٥)، ومسلم رقم (٣٩٢) من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ﵁ بلفظ مقارب دون زيادة «.. فَقَرَأَ: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، ثُمَّ قَرَأَ بِأُمِّ الْقُرْآنِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}، فَقَالَ: «آمِينَ». فَقَالَ النَّاسُ: آمِينَ..»، وقد سبق كلام الشيخ الألباني – رحمه الله – أن من العلماء من أعل هذه الزيادة بالشذوذ، والله أعلم .

١) **انظر**: «النشر في القراءات العشر» (١/ ٣٠٧) باختصار يسير.

٢) **انظر**: «التسهيل لتأويل التنزيل» (١/ ٢٧-٣٣).

وقد قال القرطبي – رحمه الله – في «جامعه» (١/ ٩٧): ندب الشرع إلى ذكر البسملة في أول كل فعل؛ كالأكل والشرب والنحر؛ والجماع والطهارة وركوب البحر، إلى غير ذلك من الأفعال.

١- **عند الطعام والشراب**: لما رواه الشيخان[١] من حديث وَهْبَ بْنَ كَيْسَانَ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ، يَقُولُ: كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ.

وأيضًا لما رواه مسلم[٢] عن حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، ...**» الحديث .

٢- **عند الذبح**: لقوله تعالى {**فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ**} [المائدة: ٤].

ولقوله ﷻ {**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ**} [الأنعام: ١٢١].

ولما رواه الشيخان[٣] من حديث جُنْدَبِ بْنِ سُفْيَانَ البَجَلِيِّ، عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «**مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلاَةِ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى، وَمَنْ كَانَ لَمْ يَذْبَحْ حَتَّى صَلَّيْنَا فَلْيَذْبَحْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ**».

٣- **عند دخول البيت**: لما رواه مسلم[٤] من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يقول: «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ**» .

٤- **عند الوطء والجماع**: لما رواه الشيخان[٥] من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتِي أَهْلَهُ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، ثُمَّ قُدِّرَ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ، أَوْ قُضِيَ وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا**» .

٥- **عند الرقية**: لما رواه مسلم[٦] من حديث عَائِشَةَ – رضي الله عنها - زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ إِذَا اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ ﷺ رَقَاهُ جِبْرِيلُ، قَالَ: «**بِاسْمِ اللهِ يُبْرِيكَ، وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ**

---

١) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٥٣٧٦) / ومسلم رقم (٢٠٢٢).

٢) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٠١٧).

٣) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٥٥٠٠) – واللفظ له - / ومسلم رقم (١٩٦٠).

٤) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢٠١٨).

٥) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٥١٦٥) – واللفظ له - / ومسلم رقم (١٤٣٤).

٦) **صحيح**: رواه مسلم رقم (٢١٨٥).

يَشْفِيكَ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، وَشَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ».

٦- **عند النوم**: لما رواه الشيخان[١] من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ فِرَاشَهُ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ ثَوْبِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَقُلْ: «**بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**».

٧- **في صدور الرسائل والاتفاقيات**: لقوله سبحانه {**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**} [النمل: ٢٩، ٣٠].

ولما رواه الشيخان[٢] من حديث ابن عباس عن أبي سفيان ﷺ وفيه: ... ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ « **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ،..**».

وكذلك لما روياه أيضًا[٣] عندما قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب في صلح الحديبية وهو يكتب: «**اكْتُبْ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**».

وغير ذلك من المواضع التي يُستحب ذِكر البسملة عند ابتداء العمل والشروع فيها، فهذا يُضفي على القول والعمل يمنًا وبركة فقد قال الله ﷻ {**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**} [الرحمن: ٧٨]، وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى .

***

وبهذا نكون قد انتهينا من البسملة وما يتعلَّق بها إجمالًا،
والحمد لله رب العالمين.

***

---

١) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٧٣٩٣) / ومسلم رقم (٢٧١٤).

٢) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٧) / ومسلم رقم (١٧٧٣).

٣) **صحيح**: رواه البخاري رقم (٢٧٣١) / ومسلم رقم (١٧٨٤).